مصطفى احمد حسن امام (مصرى)

من جوانب عظمة الرسول ﷺ

١- من اخلاقه و حسن معاشرته

صلى الله عليه وسلم

فى هذا الجانب من عظمة الرسول صلى الله وسلم قد يجد الانسان نفسه عاجزا كل العجز عن تصوير هذا الجانب تصويرا حقيقياً . ذلك أن حدود العظمة فىالتصور الانسانى قد تتضح فى قول الناس ان فلانا متواضع او حليم أو لين الجانب أو كريم طيب الأريحية أو أمين صادق وفىّ ، الى غير ذلك من الصفات التى تعد مغنما كبيرا يشرف الانسان و يعظم قدره حين يحظى بواحدة من تلك الصفات .

اما رسول الله صلى الله عليه وسلم فقد نال الحظ الأوفى من صفات الكمال البشرى بحيث يعد فى هذا المجال صاحب عظمة العظمات ، و ناهيك بمن ادبه ربه و علمه ربه و اثنى عليه ربه فقال : (و علمك ما لم تكن تعلم و كان فضل الله عليك عظيما) و قال جل شأنه (و انك لعلى خلق عظيم) و قال تعالى (لقد جاء كم رسول من انفسكم عزيز عليه ما عنتم حريص عليكم بالمؤمنين رؤوف رحيم) و قد روى ان على بن أبي طالب كرم الله و جهه أجاب رجلا يهوديا فصيحا جاء يطلب منه ان يصف له اخلاق رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال له على رضى الله عنه : صف لى متاع الدنيا حتى أصف لك اخلاقه صلى الله عليه وسلم ، فقال الرجل : هذا لا يتيسر لى ، فقال له عليه السلام : عجزت عن وصف متاع الدنيا و قد شهد الله على

قلته فقال : (قل متاع الدنيا قليل) فكيف أصف اخلاق النبي صلى الله عليه وسلم و قد شهد الله بانه عظيم فقال (و انك لعلى خلق عظيم)[1]

من أجل ذلك سوف نذكر فى هذا المقام طرفا يسيرا من اخلاقه صلى الله عليه وسلم و حسن معاشرته مع أهله و خدمه و مع الصبيان و مع الفقراء ، و هى جوانب ذات آثار كريمة فى التربية الانسانية التى سبق به رسول الله صلى الله عليه وسلم و تصلح لأن تكون دستورا كاملا للبشرية جمعاء و فى كل مكان و على مدى الازمان !

١- الرسول مع اهله :

لقد كان رسول الله صلى الله عليه وسلم خير راع لأهله بحيث تعد اخلاقه و حسن معاشرته مضرب المثل ، و هو الذى يقول : (خيركم خيركم لأهله ، و انا خيركم لأهلى) (ابن ماجة ، نكاح) - وهو الذى يجيب من ناداه من أهله بقوله : لبيك - و هى كلمة اعتدنا ان يقولها ضعفاؤنا لعظمائنا او العبيد لساداتهم - و هو الرسول الذى تطيب نفسه بما يقدم اليه من الطعام لا يعيبه ولايتأفف منه ، ففى الخبر الصحيح : (ماعاب النبى صلى الله عليه وسلم طعاما قط ان اشتهاه أكله و الا تركه) .

و لم يكن الرسول صلى الله عليه وسلم فى بيته بالذى يأمر و ينهى كما يفعل احدنا فى بيته - فمع كثرة زوجاته و وجود من يخدمه يفعل بيده الشريفة مالا يفعله احدنا فى بيته الا ان يكون صاحب قدوة برسول الله الكريم ، فقد اخبرت السيدة عائشة رضى الله عنها و قد سئلت عن : (ما كان النبى صلى الله عليه وسلم يصنع فى بيته قالت : كما يصنع احدكم : يخصف نعله ، و يرقع ثوبه) !

و الرسول صلى الله عليه وسلم لا تمتد يده بأذى حتى و لو للتأديب لأحدى زوجاته أو خدمه . فتقول السيدة عائشة رضى الله عنه : (لم يضرب

١- انظر مفاتيح الغيب و روح المعانى فى تفسير هذه الآية .

النبي صلى الله عليه وسلم شيئا قط بيده و لا امرأة و لا خادما) . . . الحديث (مسلم فى الفضائل ، و ابن ماجة فى ضرب النساء) ـ و الرسول صلى الله عليه وسلم ينكر على الرجل أن يجلد امرأته جلد الأمة مع ما بينهما من مودة و تعاطف ، و يقول : (خياركم خياركم لنسائهم) و(استوصوا بالنساء خيرا)[1] فأى عظمة لحسن المعاشرة و الاخلاق التى تمتع بها أهل رسول الله صلى الله عليه وسلم معه و فى خلته الكريمة ، و هذا غض من فيض نذكره لمن يحب أن يتاس برسول الله صلى الله عليه و سلم فى بيته و مع اهله .

٢- الرسول مع خدمه :

و الرسول صلى الله عليه وسلم مع خدمه هو خير سيد عرفته البشرية ، و خير من ينطق بهذه الشهادة خادمه أنس بن مالك رضى الله عنه .

فقد قدم النبي صلى الله عليه وسلم إلى المدينة و ليس له خادم فاخذ أبوطلحة بيد أنس بن مالك و انطلق به الى رسول الله صلى الله عليه وسلم ـ فقال : يا رسول الله أن انس بن مالك غلام كيّس فليخدمك . قال انس : فخدمته فى السفر و الحضر ما قال لى لشئ صنعته لما صنعت هذا هكذا ؟ و لا لشئ لم أصنعه لِمَ لم تصنع هذا هكذا ؟ (البخارى فى كتاب الادب) .

و فى رواية : خدمت النبي صلى الله عليه وسلم عشر سنين فما قال لى أف و لا لما صنعت ؟ و لا ألا صنعت ؟ (البخارى فى كتاب بدء الخلق) .

و قد أمر الرسول صلى الله عليه و سلم أنس بن مالك بقضاء بعض حاجاته فتلكأ أنس فى الطريق و مر بالصبيان و هم يلعبون فى السوق فاذا برسول الله صلى الله عليه وسلم من خلفه يقبض على قفاه ، يقول أنس : فنظرت اليه و هو يضحك ، فقال : يا انيس اذهبت حيث أمرتك ؟ قال : نعم أنا أذهب يا رسول الله . . . الحديث (مسلم فى كتاب الفضائل) . و لم يعنفه او

١- اخرجه البخارى و مسلم و الترمذى .

يزجره و هو أقل شئ يفعله احدنا مع خادمه . و انظر لقول النبي صلى الله عليه وسلم : يا أنيس ، بصيغة التصغير ، و فى هذا النداء ما فيه من شفقة و عطف و حنان قد لا نجده الا من الأب الرحيم العطوف ببنيه و فلذات كبده . والرسول صلى الله عليه وسلم يضع دستورا عاما للخدم و حقوقهم ما عرفته البشرية قبله و لا بعده ، يقول صلى الله عليه وسلم : (اخوانكم خولكم جعلهم الله تحت ايدكم ، فمن كان اخوه تحت يده فليطعمه مما يطعم و ليلبسه ما يلبس ، و لا تكلفوهم ما لا يطيقون)[1] فهل بعد هذا عظمة ؟ و هل تجود البشرية بمن يقتدون برسول الله فى معاملة خدمهم ؟

٣- الرسول و الصبيان :

و امتدت شفقة رسول الله صلى الله عليه وسلم لتشمل الصبيان و الاطفال فهو معلّم لمكارم الأخلاق فكيف يحرم الصبيان من أخلاقه و لطفه فكان اذا مر بهم يسلم عليهم . و يذكر أنس رضى الله عنه أنه كان له أخ صغير — لعله كان فطيما — يسمّى أبا عمير و كان له عصفور او بلبل صغير يسمى بالنغير فكان رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا جاء يقول : يا أبا عمير ما فعل النغير ؟ و اكثر من ذلك يقول أنس رضى الله عنه : ما رأيت أحدا ارحم بالعيال من رسول الله صلى الله عليه وسلم .

٤- الرسول مع الفقراء :

لقد عاش رسول الله صلى الله عليه وسلم يأكل عيش الفقراء ويحيا حياتهم ، فما شبع رسول الله صلى الله عليه وسلم من خبز و زيت فى يوم واحد مرتين ، بل ما أكل فى يوم واحد اكلتين الا احداها تمر ، بل ما شبع آل رسول الله صلى الله عليه وسلم من طعام ثلاثة ايام حتى قبض ، ولم يرد فى الاخبار أن رسول الله صلى الله عليه وسلم أكل خبزا مرققا او شاة مسموطة اى مشوية . و لما دعى

١- البخارى و مسلم فى الايمان .

إلى مثل هذا الطعام أبي . بكل ذلك و أكثر منه وردت الاخبار الصحيحة ، و تذكر السيدة عائشة رضى الله عنها — كما يرويه البخارى فى كتاب الهبة عنها — انها قالت لعروة ابن اختها انا كنا لننظر الهلال إلى الهلال ثم الهلال ، ثلاثة أهلة فى شهرين و ما اوقدت فى ابيات رسول الله صلى الله عليه وسلم نار ، فقال عروة : يا خالة ماكان عيشكم ؟ قالت الاسودان التمر و الماء ، الا أنه قد كان لرسول الله صلى الله عليه وسلم جيران من الانصار و كان لهم منائح و كانوا يمنحون رسول الله صلى الله عليه وسلم من البانهم فيسقينا ! هذا هو عيش المصطفى صلى الله عليه وسلم فكيف كانت اخلاقه مع الفقراء ؟

كان رسول الله صلى الله عليه و سلم و هو سيد السادات يقبل هدية الفقراء و يجيب دعوتهم فيقول : (لو دعيت الى ذراع او كراع لاجبت و لو اهدى إلى ذراع او كراع لقبلت) . البخارى فى كتاب الهبة .

و هو جواد لا يرد سائلا و لا يخيب طالبا بل تواترت الاخبار انه صلى الله عليه و سلم كان أجود الناس و أحسن الناس و يروى الدارمى بسنده عن جابر قوله (ما سئل النبى صلى الله عليه و سلم شيئا قط فقال : لا) .

و قد روى مسلم فى كتاب الفضائل بسنده عن ابن عباس قال : كان رسول الله صلى الله عليه و سلم أجود الناس بالخير و كان أجود مايكون فى شهر رمضان ، ان جبريل كان يلقاه فى كل سنة من رمضان حتى ينسلخ يعرض رسول الله صلى الله عليه و سلم القران ، فاذا لقيه جبريل كان اجود الناس بالخير من الريح المرسلة .

و الرسول صلى الله عليه و سلم عندما يعطى الفقير فانما يعطى عطاء الواثق بما عند الله اكثر مما فى يده فما يدخر لغده و ما يخاف ان تنزل به فاقة او تنزل بأهله نازلة . و قد روى الامام احمد بسنده عن أنس رضى الله عنه أن رجلا اتى النبى صلى الله عليه و سلم يسأله فاعطاه غنما بين جبلين فاتى الرجل قومه فقال : اسلموا فان محمدا يعطى عطية رجل مايخاف الفاقة . او قال : الفقر ! و قد بلغ رسول الله فى هذا الباب مبلغا ما يعرف قدره الا احباؤه

و متبّعوه المستنون بسنة الغراء فقد روى الهيتمى فى مجمع الزوائد (٩/١٣) بسنده عن ابن عمر قال : سمعت رسول الله صلى الله عليه و سلم و أتى صاحب بز فاشترى منه قميصا باربعة دراهم فخرج و هو عليه فاذا رجل من الانصار فقال يا رسول الله : اكسنى قميصا كساك الله من ثياب الجنة ، فنزع القميص فكساه اياه ، ثم رجع إلى صاحب الحانوت فاشترى منه قميصا باربعة دراهم ، و بقى معه درهمان ، فاذا هو بجارية فى الطريق تبكى ، فقال : ما يبكيك ؟ قالت يا رسول الله دفع الى اهلى درهمين اشترى بهما دقيقا فهلكا . فدفع النبى صلى الله عليه و سلم اليه الدرهمين الباقيين ، ثم ولت و هى تبكى ، فقال : ما يبكيك و قد اخذت الدرهمين ؟ فقالت : انى اخاف ان يضربونى ، فمشى معها إلى اهلها فسلم فعرفوا صوته ثم عاد فسلم ثم عاد فثلث فردوا فقال : أسمعتم أول السلام ؟ فقالوا نعم ، و لكن احببنا ان تزيدنا من السلام ، فما اشخصك بابينا و أمنا ؟ قال : اشفقت هذه الجارية ان تضربوها ، قال صاحبها : هى حرة لوجه الله لممشاك معها ، فبشرهم رسول الله صلى الله عليه و سلم بالخير و الجنة ، و قال : لقد بارك الله فى العشرة ، كسى الله نبيه قميصا ، و رجلا من الانصار قميصا ، و اعتق منها رقبة ، و أحمد الله الذى رزقنا بقدرته . قال : رواه الطبرانى .

و بعد فهذا طرف من اخلاقه صلى الله عليه و سلم و حسن معاشرته و رحمته باهله و خدمه و الصبيان و الفقراء فطوبى لمن يسيرون و يستنون بنبيهم الكريم فى اخلاقه و معاشرته و بالجملة فقد كان خلق الرسول صلى الله عليه و سلم القرآن كما قالت السيدة عائشة رضى الله عنها و هى كلمة جامعة لاخلاقه الكريمة صلى الله عليه و سلم و بارك و عظم و مجد ففى حديث مسلم و ابى داؤد و الامام احمد و الدارمى و ابن ماجة و النسائى عن سعد بن هشام قال قلت لعائشة رضى الله عنها يا أم المؤمنين انبئنى عن خلق رسول الله صلى الله عليه و سلم قالت الست تقرأ القرآن ؟ قلت : بلى . قالت : فان خلق نبى الله كان القرآن .

قال فى روح المعانى ٢٩/٢٥ : و ارادت بذلک علىماقيل ان ما فيه من المكارم كله كان فيه صلى الله عليه و سلم ، و ما فيه من الزجر عن سفساف الاخلاق كان منزجرا به عليه الصلاة و السلام . . . الخ . و كفاه صلى الله عليه و سلم عظمة ان يكون خلقه القرآن ليعظم فضله صلى الله عليه و سلم على الانام .

٢ـ تاسيس الدولة الاسلامية

ما من شک فى أن القائد الناجح هو الذى يستطيع أن يبنى أمة ثابتة الاركان قوية البنيان تتم لها أسباب السيادة و البقاء . و ان عظمة أمة الاسلام ـ فى سالف عهدها ـ انما ترجع إلى عظمة قائدها و مؤسسها محمد بن عبدالله صلى الله عليه و سلم الذى اسسها على أقوى الاسس و شيدها على اقوى الدعائم . و على كل مسلم ان يفخر بعظمة النبى العربى فى تأسيس دولته الاسلامية التى لم يشهد التاريخ القديم و الحديث امة اسست على مثل تلک الاسس القويمة التى اسست عليها دولة الاسلام و فى سطور قليلة نذكر بعض تلک الاسس و دلالتها على عظمة النبى الكريم عليه الصلاة و ازكى السلام .

١ـ المشاركة فى البناء و التعمير :

كان من أوائل الاعمال التى اتخذت لبناء الامة الاسلامية اقامة المساجد ، و المساجد فى امة الاسلام لها دلالة كبيرة فهى فوق كونها دورا للعبادة كانت مدارس تربية دينية و روحية و اخلاقية ، كما أنها منتديات للاجتماع و عقد مجالس الحكم و الشورى والنظر فى شئون المسلمين بوجه عام و كان مسجد قباء أول مسجد بنى لتحقيق هذا الغرض . و قد ذكر أن النبى الكريم هوالذى وضع أول حجر فى قبلته ثم تبعه ابوبكر و عمر رضى الله عنهما ، و وضع حجر الاساس له دلالة قوية على عظمة القائد و لكن رسول الله صلى الله عليه وسلم فعل ما هو اكثر من ذلک فقد ذكر أنه كان صلى الله عليه وسلم يأتى بالحجر و قد الصقه الى بطنه فيضعه ، فيأتى الرجل يريد أن يقله فلايستطيع

حتى يأمره ان يدعه و ياخذ غيره[1] و يوضح ذلك ما روى الامام أحمد بسنده عن أبي هريرة (٣٨١/١٢) انهم كانوا يحملون اللبن إلى بناء المسجد و رسول الله صلى الله عليه و سلم معهم ، قال (ابوهريرة) فاستقبلت رسول الله صلى الله عليه و سلم و هو عارض لبنة على بطنه فظننت انها قد شقت عليه ، قلت ناولنيها يا رسول الله . قال : خذ غيرها يا أبا هريرة فانه لاعيش الا عيش الآخرة .

و فى غزوة الخندق عندما اجتمعت الأحزاب لقتل دعوة الاسلام و القضاء عليها قضاء نهائيا تشاور رسول الله صلى الله عليه وسلم مع اصحابه فى مواجهة هذا الخطب ثم اشار سلمان الفارسى رضى الله عنه ببناء الخندق حول المدينة و قد ظهرت عظمة رسول الله صلى الله عليه وسلم جلية عندما شارك بيده الشريفة فى الحفر قال ابن هشام (فعمل فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم ترغيبا للمسلمين فى الأجر و عمل معه المسلمون فدأب و دأبوا)[2] بل انه صلى الله عليه وسلم - كما قيل - أخذ المعول و ضرب به صخرة عظيمة استعصت على معاول أصحابه فضربها رسول الله صلى الله عليه و سلم ثلاث ضربات فتحطمت و كان البرق يلمع فى كل مرة من شدة الضرب ، و قد روى فى مشكل الآثار عن البراء بن عازب رضى الله عنه (٢٩٩/٤) أنه كان يقول : رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم ينقل التراب يوم الخندق حتى وارى التراب شعر صدره صلى الله عليه وسلم . . . الحديث .

٢- المؤاخاة

و من الأمور التى اسست عليها أمة الاسلام نظام المواخاة الذى وضعه رسول الله صلى الله عليه وسلم بين اصحابه المهاجرين و الانصار ، ذلك النظام الذى ما عرف فى أمة فى التاريخ على هذا الوجه الذى عرف به فى

١- الروض الأنف و معه سيرة ابن هشام ١١/٢ .
٢- ابن هشام ١٨٨/٢ .

عهد امة الاسلام .

فنظام المؤاخاة كما نتصوره عقد و بناء بين لبنتين من لبنات المجتمع الأولى ، ثم هو بالتالى عقد و بناء للمجتمع كله فى صورة دولة أو امة اجتمعت و اتحدت اهواء ابنائها على المحبة و الاخاء و نصرة كلمة الله دائما .

و كان من أثر هذه الأخوة أن زادت الألفة و المحبة بين الناس حتى كان الاخ الانصارى يعتبر اخاه المهاجرى شريكا له فى بيته و ماله و غير ذلك عن محبة و رضى و طيب نفس لا عن قهر وأجبار أو اكراه .

و كانوا يتمسكون بعقد المؤاخاة تمسكا يثير الدهشة و الاعجاب فقد ذكر ان عمر بن الخطاب عند ما دون الدواوين بالشام و كان بلال مولى ابوبكر أخا لأبى رويحة عبدالله ابن عبدالرحمٰن ، سأله عمر بن الخطاب بلالا الى من يجعل ديوانه - عند ما خرج الى الشام فأقام بها مجاهدا - ؟ فقال بلال : مع أبى رويحة لا أفارقه أبدا للاخوة التى كان رسول الله صلى الله عليه وسلم عقد بينه و بينى . فضم اليه[1] - رضى الله عنهم اجمعين .

٣- المعاهدات :

كان مما يلفت النظر حقا و يثير الدهشة ابرام المعاهدات فى بداية نشأة الدولة الاسلامية فى المدينة .

و تعتبر هذه المعاهدات وثائق تاريخية لها قيمتها و دلالتها الخاصة فى تاريخ الدولة التى أسسها رسول الله صلى الله عليه و سلم ، إذ لم يعرف نظام المعاهدات على هذا النمط الذى حدث فى عهد النبى الكريم من قبل هذا .

و من أهم ما يلفت النظر فى أول هذه المعاهدات انها وضعت لتحقيق اهداف سامية أهمها :

(أ) كبح جماح شر قد يتوقع و قتل فتنة يحتمل وقوعها و يترتب عليها تفكك اواصر المحبة و الاخوة والوحدة بين عناصر الدولة

١- ابن هشام ٢/١٩ .

الجديدة و سكانها من الانصار و الهاجرين و اليهود .

(ب) تأكيد التكافل و التضامن الاجتماعى بين البطون و القبائل كل على‌حدة و هو بالتالى تعاون كامل بين جميع عناصر الأمة لتوحيدها .

(ج) حسن الجوار و العشرة بين الجميع حتى مع اليهود الذين اعطوا حرية كاملة فى دينهم و اموالهم .

(د) التحالف بين جميع عناصر الدولة على حماية المدينة و الدفاع عنها اذا دهمها خطر او اعتداء .

و يحسن بنا ان نذكر بعض بنود هذه المعاهدة مكتفين بهذا البعض عن باقيها حتى ندرك أهميتها و دلالتها على عظمةالرسول فى وضع و ابرام المعاهدات :

(ه) ان المؤمنين المتقين على من بغى منهم او ابتغى دسيسة أو ظلم أو إثم او عدوان او فساد بين المؤمنين ، و ان يدهم عليه جميعا و لو كان ولد أحدهم . . . !

* و ان على اليهود نفقتهم و على المسلمين نفقتهم و ان بينهم النصرة على من حارب هذه الصحيفة و ان بينهم النصح و النصيحة و البر دون الاثم . . . . !

* و ان اليهود ينفقون مع اليهود ما داموا متحاربين ، و ان يثرب حرام جوفها لاهل هذه الصحيفة .

* و ان الجار كالنفس غير مضار و لا اثم ، و أنه لاتجار حرمة بغير اذن اهلها .

* و انه ما كان بين اهل هذه الصحيفة من حدث او اشتجار يخاف فساده فان مرده إلى الله عزوجل و الى محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم .

* و ان الله على اتقى ما فى هذه الصحيفة و أبره .

* و انه لاتجار قريش و لا من نصرها .
* و ان بينهم النصرة على من دهم يثرب
و ارجع ان شئت إلى نصوص المعاهدة كاملة[1] .

٣- الشورى :

و من أهم الاسس التى قامت عليها الدولة الاسلامية الشورى و قد يوجد نوع من التشابه بين الشورى كاسلوب من اساليب القيادة فى دولة الاسلام و بين الديمقراطية الحديثة .

إلاّ ان الفرق يظهر واضحا عندما تصبح الديمقراطية شعارات و نداءات تتردد قبيل الانتخابات و الترشيح لمناصب الدولة ثم لايلبث اصحابها ان يتسلطوا على الشعوب مستبدين بآرائهم و اهوائهم دون نظر لمصلحة تلك الشعوب التى طالما كانت تحلم و تتعلق بآمال وأمانى على السنة هؤلاء الحكام ثم أصبحت سرابا كاذبا يحسبه الظمآن ماء أما الشورى التى اسست عليها دولة اسلام فى عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم فانها تخلو من الوعود و الامانى و الآمال فقائد الامة وهو رسول الله صلى الله عليه وسلم يجمع جميع من يعنيهم الامر ليقول لهم اشيروا علىّ ايها الناس فيقرر بهم و معهم الرأى ازاء أمر من الامور اوحدث من الاحداث ، و الجميع بعد ذلك يقبلون النتيجة خيرا كانت او شرا فهى على الرأس والعين .

ومما يذكر هنا ان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان اكثر الناس مشاورة لاصحابه ، مع انه ممن لا ينطق عن الهوى ، ومع أنه يستطيع ان يأمر فيطاع دون تفكير فى عواقب الامور و ناهيك باصحابه الذين يفدونه بكل ما يملكون من عزيز نفسا كان او مالا او ولدا ، ولكنه صلى الله عليه وسلم قدوة حسنة يفعل ليكون إماما تتبعه امته فتصيب فلاح الدنيا و الآخرة و

١- سيرة ابن هشام (٢/١٦- ١٧)

لنذكر هنا مثالا حيا من امثلة الشورى لندرك عظمة رسول الله فى هذا الباب فنتبعه و نسير على هديه .

ففى غزوة بدر الكبرى التى كانت فيصلا بين الحق و الباطل فى تاريخ الامة الاسلامية استشار رسول الله صلى الله عليه وسلم الناس عند ما علم بمسير قريش لتمنع عيرها التى كان المسلون خرجوا فى طلبها ، فقام ابوبكر الصديق فقال و احسن ، ثم قام عمر فقال و احسن ثم قام المقداد بن عمرو فقال يا رسول الله امض لما امرك الله فنحن معك و الله لا نقول لك ما كما قالت بنو اسرائيل لموسى اذهب انت و ربك فقاتلا انا هٰهنا قاعدون ولكن اذهب انت و ربك فقاتلا انا معكما مقاتلون ثم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : اشيروا على ايها الناس فقال سعد بن معاذ ، و كان من الانصار ، كانك تريدنا يا رسول الله قال أجل ، قال : فقد آمنا بك و صدقناك ، و شهدنا ان ما جئت به هو الحق ، و اعطيناك على ذلك مواثيقنا و عهودنا على السمع و الطاعة فامض يا رسول الله لما اردت فنحن معك ، فوالذى بعثك بالحق لو استعرضت بنا هذا البحر فخضته لخضناه معك ما تخلف منا رجل واحد ، و ما نكره ان تلقى بنا عدونا غدا ، أنا لصبر فى الحرب ، صدق عندالقاء ، لعل الله يريك منا ما تقر به عينك ، فسر بنا على بركة الله[1] .

هذا مثل حى من امثلة الشورى خليق بان يستشف منه عظمة القيادة التى سلكها رسول الله صلى الله عليه وسلم فى بناء امته الاسلامية و خليق بان يتبع و يحتزى !

٥- القيادة الحربية :

كان من الطبيعى ان يدافع المسلمون عن انفسهم و عن دولتهم اذا دهمهم خطر او عدوان خارجى .

وليس فى هذا كبير غرابة و عجب ، ولكن العجب والغرابة حقا فيما

١- سيرة ٢/٦٤

ابدعه رسول الله صلى الله عليه وسلم من اساليب حربية و حسن قيادة و تنظيم لجيوش المسلمين فى معاركهم مع اعدائهم و المسلمون قلة و اعدائهم كثرة ، و ناهيك بقائد ينظم الصفوف بيده و يعرف كلا واجبه فى الحرب و القتال ثم يكون هو نفسه فى مقدمة الصفوف لا ينكص و لا يتراجع ففى غزوة بدر كما ذكر ذلك ابن هشام (٢/٦٨) اخذ رسول الله صلى الله عليه وسلم ينظم اصحابه و يعدل الصفوف بقدح كانت فى يده .

و مما يذكر هنا بالفخار لأصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم انه عندما مر بأحد اصحابه—و هو سواد بن غزية—و قد فارق موضعه متقدما فى الصف فطعن بالقدح فى بطنه و قال استو يا سواد ! فقال يا رسول الله اوجعتنى و الذى بعثك بالحق و العدل ، فأقدنى ! فكشف رسول الله صلى الله عليه وسلم عن بطنه و قال استقد ، فاعتنقه سواد فقبل بطنه ، فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم : ما حملك على هذا يا سواد ؟ قال يا رسول الله حضر ما ترى فاردت أن يكون آخر العهد بك ان يمس جلدى جلدك ، فدعا رسول الله صلى الله عليه وسلم له بخير .

و فى غزوة أحد جعل رسول الله صلى الله عليه وسلم اكثر جيشه فى مقابلة العدو أمر رجلا من اصحابه على الرماة و هو عبدالله بن جبير و قال له : انضح الخيل عنا بالنبل لا يأتونا من خلفنا ان كانت لنا او علينا فاثبت مكانك لانؤتين من قبلك) ابن هشام ٢/١٢٩

و ما اعظمها من خطة حربية وضعها الرسول صلى الله عليه وسلم لحماية ظهر جيش المسلمين .

و كان رسول الله صلى الله عليه و سلم قائدا لا ككل القواد . فكم تعانى الجيوش فى عصرنا الحديث من أوامر القادة الذين يضعون الخطط الحربية ثم يضعون انفسهم فى موضع يأمنون فيه على حياتهم ان حدثت هزيمة او نكوص فهم فى مؤخرة الجيوش يصدرون اوامرهم بالتقدم لجنودهم فاذا كانت الهزيمة كان هؤلاء القادة اقرب الى الفرار و النجاة بأنفسهم من اخطار الحروب .

اما رسول الله صلى الله عليه وسلم فهو فى أشد معارك الحروب يتقدم الصفوف لا يضعف او ينكص ولا يتراجع ولو تفرق عنه اصحابه و جنده من المسلمين ، و فى ذلك يروى البخارى فى كتاب الجهاد و السير بسنده عن أبي اسحاق ، قال رجل للبراء ابن عازب أفررتم عن رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم حنين ؟ قال : لكن رسول الله صلى الله عليه وسلم لم يفر ، ان هوازن كانوا قوما رماة ، و انا لما لقيناهم حملنا عليهم فأنهزموا فاقبل المسلمون على الغنائم و استقبلونا بالسهام ، فأما رسول الله صلى الله عليه وسلم لم يفر فلقد رأيته و انه لعلى بغلته البيضاء ، و ان ابا سفيان ـ يعنى ابا سفيان بن الحارث ابن عبدالمطلب ابن عم النبى صلى الله عليه وسلم ـ أخذ بلجامها و النبى صلى الله عليه وسم يقول :

انا النبى لا كذب انا ابن عبدالمطلب

هذه شهادة اصحابه بشجاعته صلى الله عليه وسلم ولا غرو فهو أشجع الناس كما ورد فى صحاح الآثار و يروى الامام أحمد بسنده عن على بن أبى طالب قاله : لقد رأيتنا يوم بدر و نحن نلوذ برسول الله صلى الله عليه وسلم وهو اقربنا الى العدو ـ و كان من اشد الناس يومئذ بأسا ـ المسند ١/٨٦

و فى رواية اخرى عنه عليه السلام قال : كنا اذا أحمر الباس و لقى القوم القوم اتقينا برسول الله صلى الله عليه وسلم فما يكون منا احد ادنى من القوم منه . المسند ١/١٠٨

و بعد : فهذه بعض الاسس التى قامت عليها دولة الاسلام بقيادة محمد بن عبدالله صلى الله عليه وسلم و كلها تشهد على عظمة رسول الله فى سلمه و حربه و رعاية شئون دولته ، و ياحبذا لو ترجع الشعوب الاسلامية فى حاضرنا لتسير على هذه الاسس فتعود أمة الاسلام الى أوج عزتها و عظمتها كما كانت فى سالف عهدها .

و صلى الله و سلم على سيدنا محمد الذى بعثه الله رحمة للعالمين .

☆ ☆ ☆